

من العلاقات الإنسانية إلى العلاقات البيانية

قراءة في تحولات العلاقة الإنسانية في العصر الرقمي

From Human Relationships to Data Relations: A Reading of the Transformations of Human Relationships in the Digital Age

محمد لمين بوذن *

جامعة الوادي - الجزائر-

bouden-mohamedlamine@univ-eloued.dz

تاريخ القبول 2026/05/31

تاريخ الاستلام 2026/05/15

الملخص

نسعى في هذه الورقة إلى مساءلة الوصف الاجتماعي لشبكات التواصل الرقمية، التي نعيش من خلالها تحولا جذريا في طبيعة العلاقة الإنسانية، التي تراجعت فيها أنماط التفاعل المباشر لتحل محلها وسائط خوارزمية تعيد تشكيل مشاعر القرب والحميمية والعزلة ومختلف أشكال التفاعل الإنساني، ونحاول في هذا المقال تجاوز التحليلات المتعلقة بالإدمان الرقمي والعزلة إلى تفكيك البنى السياسية والاقتصادية والوجودية التي تمكن لهذه التحولات، تنقسم الورقة إلى أربع محاور رئيسية، يتعلق المحور الأول بتحليل مفهوم "الوساطة الخوارزمية" بوصفها بنية فنية واجتماعية تحول العلاقات إلى بيانات قابلة للاستخراج والتوجيه، ويرتبط المحور الثاني بتفكيك تحول نماذج التفاعل من الحوار المباشر إلى الأداء الرقمي وما يترتب عليه من اختلالات في بناء الذات والآخر، ويتتبع المحور الثالث الآثار الوجودية والنفسية لهذه التحولات خاصة فيما يتعلق بمفارقة "الاتصال الدائم والعزلة المتزايدة"، في حين يرتبط المحور الرابع أليات المقاومة وإعادة بناء العلاقات الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: البيانات؛ العلاقات الإنسانية؛ الخوارزميات؛ الاستعمار البياني؛ الأداء الرقمي؛ التواصل.

Abstract:

This paper examines the social characterization of digital communication networks, through which we are experiencing a radical transformation in the nature of human relationships. Direct interaction patterns have declined, replaced by algorithmic

media that reshape feelings of closeness, intimacy, isolation, and various other forms of human interaction. This paper attempts to move beyond analyses of digital addiction and isolation to deconstruct the political, economic, and existential structures that enable these transformations. The paper is divided into four main axes. The first axis analyzes the concept of "algorithmic mediation" as a technical and social structure that transforms relationships into extractable and manipulateable data. The second axis focuses on deconstructing the shift in interaction models from direct dialogue to digital performance and the resulting imbalances in the construction of self and other. The third axis explores the existential and psychological effects of these transformations, particularly concerning the paradox of "constant connection and increasing isolation." The fourth axis addresses the mechanisms of resistance and the reconstruction of human relationships.

Keys Words: Human Relations; Algorithms; Data Colonialism; Digital Performance; Communication.

تمهيد:

في زمن الذكاء الاصطناعي والشبكات فائقة الاتصال لم يعد السؤال المطروح هو "ماذا تفعل التكنولوجيا بنا؟" بل تحول إلى سؤال أكثر إلحاحاً وجوهرياً هو: "كيف تعيد الخوارزميات تعريف علاقاتنا مع بعضنا البعض ومع ذاتنا؟"، فالتفاعل الإنساني القائم على الحضور الفيزيائي الجسدي المشترك، والأيامات الغير معلنة، والاثار الصوتي الخاص، والاستجابة التلقائية الطبيعية للآخر في تدفق زمني غير قابل للإيقاف، أصبح اليوم يتخلله منطق خوارزمي صارم، لا تقتصر وساطته في تسهيل الاتصال، بل يعيد تعريف العلاقة ذاتها ومحتواها وغاياتها.

تعرف الباحثتان دانا بويد وأليس مارويك (Danah boyd & Alice Marwick) الشبكات الاجتماعية الرقمية "بأنها جمهوريات خوارزمية حيث لم تعد الرؤية والظهور مجرد نتائج لاختيارات الافراد، بل نتائج لخوارزميات الترتيب والتوصية التي تحدد من يُرى ومتى يُرى، (Marwick & boyd.d, 2014 p. 8) وعليه فإن الافتراض بأن العلاقات عبر الأنترنت هي مجرد امتداد رقمي للعلاقات الواقعية هو افتراض ساذج (boyd, 2014)، " ، فالخوارزميات تعمل كبنى قبل معرفية تشكل ما نراه ونشعر به تجاه الآخر دون ادراك واعٍ منا في أغلب الأحيان. (PARISER, 2011)

ننطلق في هذا الورقة من فكرة مركزية مفادها أننا نشهد انتقالاً تاريخياً من نموذج التفاعل الحوارية الذي يقوم على المساءلة والغموض والوقت الممتد والمخاطرة العاطفية إلى نموذج التفاعل المؤشراتي الذي يقوم على الإشارات السريعة والضغط على أيقونات التفاعل (أعجبني، مشاركة، تعليق ...) وتقديم الذات كبروفایل قابل للتصنيف والقياس والتعديل المستمر، بحيث تصبح العلاقة في هذا النموذج الجديد شفافة وقابلة للاختزال ومفتوحة للمراقبة واستخراج القيمة الاقتصادية، وكما

يلاحظ بيونغ تشول هان (Byung-Chul Han) فإن التحول الاعمق ليس في كمية التواصل بل في نوعيته، فمن التواصل الذي كان يتطلب غياباً وألماً وصبراً (أي انتظار الرد، وتحمل غياب الطرف الآخر، وجهد بناء المعنى عبر الزمن)، إلى تواصل لحظي يلغي كل هذه الأبعاد، وينتج ما يسميه "الملل العميق" المُقنع بالحركة الدائمة . (HAN, 2017)

ومن أجل فهم هذا التحول بعمق سنحاول تجاوز النقاشات السطحية، حول إدمان الانترنت أو العزلة الرقمية وكل الاطروحات التي تختزل مشكلة العلاقات الإنسانية في العصر الرقمي في سلوكيات فردية، وسنتعامل من البني الفنية والتجارية والسياسية التي تمكن لهذه التحولات، وعليه سنناقش في هذه الورقة أربعة محاور أساسية:

- التحول البنيوي: من العلاقات الإنسانية إلى العلاقات البيانية.
- التحول الذاتي: من الذات الحوارية إلى الأداء الرقمي.
- التحول الوجداني: من الحميمية إلى الاشباع المؤشراتي.
- آليات المقاومة وإعادة بناء العلاقات الإنسانية.

1- التحول البنيوي: من العلاقات البشرية إلى العلاقات البيانية

إن تأمل العلاقات الإنسانية التقليدية يبين أنها علاقات نوعية متغيرة حسب السياقات والطبيعة الشخصية للأفراد، تبرز فيها العاطفة والجانب الحميمي، وتأثير المرجعية الاجتماعية والأخلاقية، وفي المقابل يظهر مفهوم "العلاقات البيانية" ليبين أن العلاقات بين البشر لم تعد مجرد فضاءات تواصل وتبادل عاطفي، بل أصبحت عقوداً مستترة لاستخراج قيم اقتصادية وسياسية ذات ثقل كبير.

يبرز هذا المحور الانتقال الجذري من العلاقات الإنسانية كبنية قائمة على الحضور الجسدي والزمن الممتد، والمخاطرة والغموض، إلى العلاقات البيانية كبنية مختلفة تقوم على المراقبة المستمرة، واستخراج البيانات والتنبؤ بالسلوك الإنساني من أجل تحصيل قيمة اقتصادية.

1.1. تعريف العلاقات البيانية وآلية عملها:

يرى نيك كولدراي وأوليسيس ماخياس (Couldry & Mejias) في كتابهما: (تكاليف الاتصال: كيف تستعمر البيانات الحياة البشرية وتسحتوذ عليها لصالح الرأسمالية)¹ أن العلاقات البيانية قائمة على الاستخراج الاقتصادي، فحين نتواصل عبر أحد مواقع التشبيك الاجتماعي، فنحن لا نتبادل الكلمات والعواطف فقط، بل ننتج سلعة (البيانات) يتم تداولها في أسواق إعلانية شاسعة وتخضع لمراقبة واسعة، "فالعلاقة البيانية هي الشكل الاجتماعي الناشئ الذي من يتم من خلاله تثبيت الاستعمار البياني كعملية استخراجية بين الأفراد والجماعات والشركات، بحيث تساهم بشكل موثوق في النظام الاجتماعي الناشئ للرأسمالية" ويوضح كولدراي وماخياس بأن

المقصود: "بالعلاقات البيانية ليس العلاقات بين البيانات، بل الأنواع الجديدة من العلاقات الإنسانية التي تتيحها البيانات كسلعة محتملة" (Mejias & Couldry, 2019, pp. 24-26)

ويصف كولدراي وماخياس سيرورة الحصول على البيانات وتدويرها بـ: "دوامة العلاقات البيانية" وهي عملية تتكون من أربع مراحل:

- 1- الولوج لحيز المراقبة الحاسوبية عبر تطبيق أو منصة.
 - 2- تقديم موافقة ضمنية (غالبا غير مدركة بالكامل) على استخراج البيانات.
 - 3- تحويل تدفق الحياة إلى سلعة قابلة للتبادل.
 - 4- إعادة تطبيق التصنيفات المستمدة من البيانات على الذات البشرية.
- ومن هنا تنشأ دوامة قوية للعلاقات البيانية تؤثر على السلوك وتؤكد قوة هذه العلاقة البيانية، وهذه الدوامة تمثل استخراجا دائما للقيمة من الحياة اليومية لا يتوقف حتى عندما نكون غير متصلين بوعي.

1.2. الاستعمار البياني: استمرارية لا استعارة

ومن هنا يصبح مصطلح الاستعمار البياني (Datta Colonialism) معبرا بدقة عن طبيعة هذه العصر الحالي فبحسب كولدراي وماخياس: "إذا كان الاستعمار التقليدي يضم الأراضي ومواردها والاجساد التي تعمل عليها، فإن استيلاء الاستعمار البياني على السلطة هو أبسط واعمق في آن واحد: الاستيلاء على الحياة البشرية نفسها والسيطرة عليها من خلال الاستيلاء على البيانات التي يمكن استخراجها منها للربح، فالحياة البشرية يتم ضمها حرفيا لرأس المال". (Mejias & Couldry, 2019, p. xii)، ومصطلح الاستعمار البياني حسب المؤلفين ليس تشبيها أدبيا أو استعارة خطابية فقط، بل هو استمرار وظيفي للاستعمار التقليدي، فبينما كان هذا الأخير يستولي على الأراضي والاجساد، فإن الاستعمار البياني يستولي على الحياة (العواطف، السلوك، المواقع، دوائر العلاقات...) ويحولها إلى موارد للرأسمالية المعاصرة، وفي هذا السياق صاغ الباحثان مفهوم "الإمبراطورية السحابية" للإشارة للنظام التكنو اقتصادي الذي يتحكم في هذا الاستعمار الجديد، حيث تحتكر شركات مثل قوقل وامازون وفيسبوك البنى التحتية التي تتدفق عبرها عواطفنا وتفاصيل حياتنا، ويستشهد كولدراي وماخياس في هذا الشأن بتصريح لشركة IBM: "الحلم الأكبر لأنترنت الأشياء والاستعمار البياني ككل، هو تحويل البيئة البشرية إلى شبكة من أجهزة الاستماع التي تلتقط البيانات عن جميع الأنشطة (...) يمكنها تسجيل صناعات بأكملها واستخراج إنتاجية وربحية أكثر مما كان يتصور من قبل" (Mejias & Couldry, 2019, p. XX)

في هذا الطرح لم تعد الخصوصية مجرد حق فردي، بل أصبحت موضوعا للنضال السياسي ضد قوة خارجية تسعى لجعل كل تفاعل انساني مرئيا ومقاسا وقابلا للتسويق، والوساطة الخوارزمية ليست مجرد وسيط محايد بين الناس، بل هي قوة إعادة تشكيل للعلاقة ذاتها.

يواجه طرح الاستعمار البياني مراجعات هادئة ترتبط بمدى واقعية هذا الطرح، فاستخدام تعبير الاستعمار لوصف آلية استغلال البيانات قد يحرف ويبسط التصور القائم حول الاستعمار الحقيقي بوجهه العنيف الذي يسلب الموارد ويقمع الإرادة، (Brevini & others, 2024)، ويجادل كليمنت لو لوديك Clément le Ludec في دقة مصطلح استعمار البيانات ويصفه بأنه سوء فهم جوهري للواقع، ويفضل اعتماد مصطلح استخراجية البيانات.

1.3. رأسمالية المراقبة كسياق للعلاقات البيانية

في ذات السياق تطرح شوشانا زوبوف SHOSHANA ZUBOFF مفهومًا معبرًا هو "رأسمالية المراقبة" الذي يفسر الآلية الاقتصادية الرقمية الراهنة، التي تقوم على العلاقات البيانية كرأسمال محوري، فالشركات الكبرى لا تكتفي بجمع البيانات كمنتج ثانوي، بل صنعت نموذج عمل كامل يعتمد على التنبؤ في أسواق السلوك الجديدة، فمجانبة استخدام المنصات الرقمية ليست إلا غطاء ظاهريًا لكون المستخدم في حد ذاته هو المادة الخام والسلعة التي تنتج وتعلب وتباع كباقي السلع المادية، فالحياة والبيانات الشخصية هي الثروة الفعلية التي تقوم عليها اقتصاديات المؤسسات التقنية الكبرى. (Zuboff, 2019, p. 14)

ومن هذا المنطلق لا تعتبر العلاقات البيانية مجرد وسيلة تواصل، بل آليات للمراقبة والتنبؤ بالسلوك الإنساني، فكل تفاعل أو تعليق أو مشاركة أو حتى توقف عند منشور معين أو عملية بحث، هي مؤشرات تسجل وتصنف خوارزميًا. بهدف استشراف السلوك الإنساني، وتمثل هذه الممارسات سلعا فعلية تخضع لمنطق السوق الإعلان، وعلى هذا الأساس تحول العلاقات الإنسانية إلى مدخل للتوقعات الخوارزمية.

2. التحول الذاتي: من الذات الحوارية إلى الأداء الرقمي

تمثل العلاقات البيانية البنية المورفولوجية لتحول العلاقات الإنسانية في العصر الرقمي، بينما تشكل الممارسات الإنسانية في هذا الفضاء أو ما يعرف "بالأداء الرقمي" البنية الداخلية للذات الإنسانية ضمن هذا الفضاء، ويقصد بالأداء الرقمي في هذا السياق الطريقة التي يعرض بها الفرد نفسه وهويته ضمن الفضاءات الرقمية، وفي هذا الصدد يشير جورج هربرت ميد George Herbert Mead إلى أن الفرد يبني هويته من خلال التفاعل الاجتماعي، "ويتصرف حسب السياق الذي هو فيه، بحيث أنه يقدم "ذات SOI" مختلفة تكون متكيفة مع هذا السياق، مجموع هذه الذوات الاجتماعية تشكل ذات الشخص أي هويته، وهي التي سيحضر من خلالها الفرد في مختلف الفضاءات التفاعلية" (بوشلاغم، 2017، صفحة 287).

2.2. الفضاءات الرقمية كمختبرات هوياتية:

تصف الباحثة شيري توركل في كتابها "الحياة على الشاشة" الانترنت بأنه ورشة هوية حيث يمكن للشخص أن يجرب جوانب مختلفة من ذاته دون الحاجة للمخاطرة مثلما هو الحال في الحياة الواقعية، (TURKLE C. , 1995) وفي هذا الصدد تشير توركل إلى أن التحول من الاتصال الصوتي المباشر إلى الاتصال النصي المؤجل يمثل تحولا وجوديا عميقا، فالاتصال المباشر يتطلب التلقائية والمخاطرة، في حين يوفر الاتصال النصي فرصة التعديل والحذف، وعليه يصبح "أداء الذات محسوبا"، وفي ذات السياق توثق توركل أنثروبولوجيا العديد من المواقف التي تؤكد ان الشباب لم يعودوا قادرين على الانخراط الفعلي في الاحاديث المباشرة، مثلما هو الحال في المكالمات الهاتفية والنقاشات الحزونية الغير محسومة النهاية، وجلسات الصمت التأملية. (TURKLE C. , 2011)

إن فكرة "الأداء المحسوب للذات" تتقاطع مع منظور الأداء المسرحي لإرفنغ غوفمان والذي يرى فيه أن الفرد يحاول توجيه أدائه والمحافظة عليه، بشكل يوجه الانطباعات التي تتشكل حوله، فالحياة الاجتماعية حسب غوفمان مثل خشبة المسرح، والتي يقدم فيها الممثل (الفرد) واجهة أمامية حوله يريد تشكيلها لدى الجمهور، ويضمّر مساحة خلفية تمثل حقيقته التي يخلع فيها قناعه الاجتماعي ويتوقف عن التمثيل (غوفمان، 2021)

وفي هذا الصدد ترى توركل أن الجديد في السياق الرقمي أن الأداء الإنساني لم يعد مرتبطا بمواقف معينة

بل أصبح مراقبا بشكل دائم، وخاضعا لتقييم كمي مستمر، فالبيئة الرقمية بمثابة خشبة المسرح متعددة المرايا، فالفرد في البيئة الرقمية يعيش قلقا دائما بشأن حياته اليومية الافتراضية المراقبة في كل تفاصيلها.. (TURKLE C. , 2011)

2.3. الذات كبروفايل وضغط الأداء والتشتت الدائم:

إن تقديم الذات عبر الشبكات الاجتماعية الرقمية، يجعل الفرد يعيش حالة مستمرة من القلق، بسبب الإحساس بالمراقبة المستمرة من الجمهور الافتراضي، وهو ما يولد ضغطا بشأن كيفية ظهور الذات وتقييمها في السياق الرقمي، (TURKLE C. , 2011) فاستخدام هذه الشبكات يولد تأثيرا عصبيا على الدماغ، ويؤثر على أنظمة المكافأة والانتباه والتنظيم العاطفي، فزيادة عدد الاعجابات والتفاعلات قد يحفز افراز الدوبامين ويفعل نظام المكافأة في الدماغ، والعكس صحيح. (De, Jamal, Aydemir, & Khera, 2025) فالفرد في هذا السياق يعيش حالة من التشتت والقلق الدائم، وهو ما يشير اليه الدكتور شادي بيطار في معرض حديثه عن تلقي الاجناس الأدبية الرقمية، فتحول الثقافة القرائية من الاطلاع العميق إلى التصفح السطحي السريع، يجعل القدرة على التركيز والتعاطف ضعيفة. (بيطار، 2022)

إن محاولة الفرد الدائمة لإنتاج بروفایل مثالي، يجعل مهمة التوفيق بين صورة الذات الرقمية، والعفوية البشرية أمرا صعبا، وهو ما ينتج ما تسميه توركل بـ "الذات المنقسمة بصورة مرضية" (TURKLE C. , 2011)،

2.4. تشوهات العاطفة وإعادة تعريف العلاقات:

في ظل الأداء الرقمي المتواصل وتفكك الذات الافتراضية، تظهر ظاهرة مقلقة تُعرف باسم "تآكل التعاطف"، حيث تتراجع القدرة الإنسانية على التقمص الوجداني وفهم مشاعر الآخرين، ومعايشة آلامهم وأفراحهم باستجابة عميقة وإنسانية. فالتعاطف، وفقاً للأدبيات النفسية والاجتماعية، يُعد مهارة معرفية ووجدانية لا تقتصر على الشعور المؤقت، بل تتطلب وقتاً وتركيزاً واستعداداً لتحمل مخاطر عاطفية، وفي هذا الصدد تشير توركل إلى أن التعاطف يتمثل في القدرة على "وضع النفس مكان الآخر" وهو ما يتناقض مع منطق الأداء الرقمي الذي تستبدل فيه العلاقات العميقة والمعقدة بعلاقات بسيطة وسطحية يمكن التحكم فيها. "فالعالم الآن حسب ريتشارد بلاك Richard black أشبه ببنية ضخمة تضم عشرات الطوابق ومئات الأشخاص المنعزلين رغم اجتماعهم، أي بدلا من حدوث الاندماج، حصل التنافر والانعزال فصار توجه مجتمعات اليوم فردانيا" (عبادة، هشام، 2025)، فتعودنا على العيش في عزلة مع أجهزتنا، يجعل قدرتنا على التعاطف مع الآخرين والاحساس بمشاعرهم محدودة، فالتقنيات الرقمية للتواصل تدخلنا في مفارقة علائقية، فبينما تسهل لنا الانخراط في علاقات سطحية غير محدودة، فإنها تجعل الانخراط في علاقات عميقة أمرا عسيرا.

وتنتقد توركل في هذا السياق لتبنيها موقفا محافظا ينبني على مسلمات مسبقة بأن الاتصال المواجهي هو النموذج المثالي الأعلى، وبأن طرحها يتماهى مع مواقف الذعر الأخلاقي التي ترافق ظهور كل وسيط اتصالي جديد، هذه الذعر الذي لا يفتأ إلى أن يزول بمجرد انتشار الوسيط الاتصالي والتعود عليه. (TOM, 2011)

3- التحول الوجداني: من الحميمة إلى الاشباع المؤشراتي:

إن التحولات البنوية والفردية التي يشهدها العصر الرقمي، أحدثت تغيرا عميقا في الوجدان الإنساني وكيفية تشكل الروابط الوجدانية ضمن المنظومة الخوارزمية، ولا يقتصر هذا التغير على طبيعة المشاعر والعلاقات فقط، بل يتجاوزها لكيفية تبلور هذه الروابط في السياق الرقمي، ويمكن تلخيص مظهرات هذا التحول في ثلاث مناحي أساسية:

1-3 الاقتصاد الانتباهي:

تعتمد المنصات الرقمية على شكل اقتصادي جديد يسمى "الاقتصاد الانتباهي" الذي لا تقتصر موارده على البيانات المستخرجة فقط، بل تتعداها لاستهلاك الانتباه الإنساني كمورد ثمين ذو قيمة عالية، فالمستخدم الذي يقضي وقتا ليس بالهين من يومه في تمرير الشاشة، يشاهد بعض المضامين ويتجاوز أخرى ويتوقف عند أخرى، لا يمكن اعتباره مجرد ضحية لما يسمى بالإدمان التقني، بل هو سلعة ثمينة تحقق أرباح طائلة مادتها الخام هي السلوك الرقمي و الانتباه.

وفي هذا الصدد يوضح كولدرى وماخياس أن جوهر ما يطلق عليه بالتخزين المؤقت للبيانات الاجتماعية،- والذي ينبني على تخزين البيانات الشخصية في بنى تحتية ضخمة بهدف الاستفادة منها لاحقا في أغراض ربحية -غالبا ما يضيفي عليه قناع التسهيلات والمزايا مثل الرسائل التي تطالب المستخدمين بالاشتراك في خدمات معينة، أو مثل الشروط التي تفرض لاستخدام التطبيقات، ولكن عند إزالة هذا القناع يبدو الوجه الحقيقي لهذا الشكل الاستغلالي الذي يختلف كليا عن وجهه الظاهري. (Mejias & Couldry, 2019, p. xvi)

وعليه فكل تفاعلاتنا الرقمية من مشاهدات واعجابات وتعليقات وحتى الاشعارات وحركة التمرير على الشاشة، تنطوي على قيمة كبيرة في سوق الانتباه، والذي أضحت الخوارزميات مبرمجة لتحفيزه واستمراره دائما، مما ينتج حالة دائمة من التوتر والقلق نتيجة للخوف مما يشمى فوات الفرص.

2.3: العزلة المتزايدة والمشاعر البديلة

ان فرط الاتصال في العصر الرقمي وديمومته، لا تعكسان قربا وحميمية، بل هو أخذ مظاهر العزلة الجديدة والتي تصفها شيري توركل CHERRY TURKLE في عنوان كتابها "وحيدون معا" وهي تشير في هذا الصدد إلى فكرة العزلة ضمن الحشود الرقمية الكبيرة، فالفرد المنغمس في تصفح هاتفه في ملتقى عائلي، ليس وحيدا، لكنه وفي ذات الوقت ليس مع أسرته، انه في منطقة وسطى لا تسمح له بالحضور الكامل مع أي من الجانبين، ولا يقتصر معنى الحضور هنا على جانبه المورفولوجي، بل يتعداه الى المشاعر والبعد الإنساني الحميمي، هذا الأخير الذي أضحى خاضعا أيضا للمنطق المؤشراتي وعملية التدوير وإعادة الإنتاج كسلعة مشيئة، فمجرد ضغوطات بسيطة ننقل مشاعرنا إلى حصالة البيانات الرقمية لاستغلالها، مع فارق خسارتنا للتجربة الحميمية الحقيقية. (TURKLE C. , 2011, p. 155)

3-3 الهوس الرقمي وغياب الاستقلالية:

تستخلص شيري توركل ما تسميه ظاهرة "قلق الجيل الرقمي" الناتج عن الارتباط المفرط بتكنولوجيا الاتصال، إلى درجة كونها جزءاً لا يتجزأ من هذا الجيل، إنها بمثابة أحد اطرافهم الأساسية، وهو ما يجعل التفكير في البعد عنها قاسيا إلى حد بعيد، تورد توركل في هذا السياق تصريحاً لمراهق يقول: " إذا كان فيسبوك سيحذف ... كل ذكرياتي ستحذف معه .. إذا حذف فيسبوك قد أصاب

بالجنون" (TURKLE C. , 2011)، إن هذا الارتباط الهوسي يعكس تحولا وجوديا عميقا، فالذات الإنسانية لم تعد موجودة خارج نطاق المنصات، بل أصبحت امتدادا للبيانات إلى الحد الذي يؤدي فيه فقدان هذه الأخيرة إلى فقدان الذات.

يشير بيونغ تشول هان إلى فكرة قلق الإرهاق، التي تفترض أن الانسان ما بعد الحديث يعاني من الخوف من عدم القدرة على الأداء، هذا الخوف الذي يلتهم الذات من الداخل ويجعلها في حالة توجس دائمة من شبح فقدان القدرة على التواصل الرقمي والارتباط بالمنصات، (HAN, 2017) وهو ما يجعل الذات في العصر الرقمي فاقدة للاستقلالية نظرا لارتباطها الهوسي بالمنصات الرقمية.

4- آليات المقاومة وإعادة بناء العلاقات الإنسانية:

إن هذا الطرح حول العلاقات الإنسانية في العصر الرقمي يبدو متشائما إلى حد بعيد، لكن وبالرغم من ذلك تطرح بعض آليات المقاومة والانفكاك من السطوة البيانية على الحياة الإنسانية، في هذا الصدد نجد أوليس ماخياس يقترح آلية لتفكيك الاستعمار البياني تقوم على: (Mejias U. , 2019)

- نقد السرديات المسيطرة والتشكيك في العولمة الزائفة، فلايديولوجيا التي تبرر الاستعمار البياني حاليا لا تختلف حججها عن سردية الاستعمار التقليدي (تفوق الحضارة الغربية، سيادة العرق الأبيض...الخ)، فهذه السردية كانت عالمية لأنها طمست كل تحدي لها، وعليه فإن الحجج التي تبرر الاستعمار البياني تنحو ذات النهج بدواعي التقدم و تحقيق التواصل الإنساني والمعارف الجديدة...الخ، وعليه فإن الخطوة الأولى في تفكيك الاستعمار البياني هي ادراك هذه الحيل التي التي تهدف لتجريد الانسان من ملكيته .
- استعادة الموارد المسلوقة: يدعو ماخياس الى استعادة الزمان والمكان المستعمرين، ويقصد بالمكان الأجهزة التي تراقب التحركات الإنسانية، والزمان هو الوقت الذي نقضيه أمام الشاشات ونكرسه لإنتاج البيانات التي تحقق أرباحا لشركات البيانات الرأسمالية، وهنا يؤكد ماخياس أن الامر أعمق من مجرد الانسحاب من المنصات الرقمية، لأنه يرتبط بتحرير الفضاءات والاقوات وإعادة صياغة الدور الإنساني في النظام الرأسمالي.
- الوعي التاريخي : ضرورة التعلم من تاريخ الاستعمار التقليدي، فالعلاقات البيانية ليست طبيعية، بل مجرد امتداد لآليات السيطرة الاستعمارية التاريخية، وعليه فالسبيل الأمثل لتحرير البيانات هو التعلم من نضالات التحرر في الماضي والحاضر.
- وفي ذات السياق تطرح شيري توركل مشروعا انثروبولوجيا علاجيا يهدف إلى استعادة فن الحوار أو المحادثة من خلال: (CHERRY, 2015)

- توفير مساحات خالية من التكنولوجيا: مثل أوقات ما قبل النوم، وغرف الطعام وأوقات التجمع العائلي، ولا تعتبر هذه المساحات حرمانا بل فرصة لإعادة اكتشاف التفاعلات التلقائية والتعاطف الإنساني.
- استعادة الصبر: من خلال التشجيع على المحادثات الطويلة من أجل استعادة عنصري الوقت والمخاطرة في العلاقات الإنسانية.
- العزلة الترميمية: ويقصد بها تعليم الأطفال والكبار القدرة على الاستمتاع بالعزلة كحيز للتفكير والتأمل، والمراد هنا هو العزلة المنتجة والتي تعتبر شرطا للعلاقة الصحية مع الآخر.

خاتمة:

بعد هذه الجولة التحليلية في عمق التحولات الرقمية، نجد أنفسنا على أعتاب حقيقة وجودية متوترة، فما نعيشه ليس مجرد تطور عابر في تقنيات الاتصال، بل هو إعادة تشكيل جذرية لبنية الوجود الإنساني، هذا الأخير الذي انصهر الى حد بعيد في منطق البيانات والخوارزميات، وتحول تدريجيا من ذات حوارية تعيش العلاقات كتجارب إنسانية فريدة، إلى ذات مؤشرات خاضعة لمنطق القياس المبني على التفاعل والظهور والإنتاج المستمر للبيانات.

استخلصنا من هذا المقال أن العلاقات الإنسانية في عصر الخوارزميات لم تعد مبنية فقط على القرب العاطفي، والحضور الوجداني، بل أصبحت رهينة لمنطق اقتصاد الخوارزميات الذي يعيد تعريف معنى العلاقة ذاتها، ويحولها إلى موارد اقتصادية قابلة للاستخراج والتنبؤ والتدوير، فالوسيط التقني ليس مجرد حامل محايد للمعنى، بل يمارس سلطة تعيد تشكيل الإدراك الإنساني والعاطفة والانتباه، من خلال تحويلها الى ذاتية إنسانية قائمة على الأداء الرقمي المستمر والخضوع اللاواعي لمنطق المراقبة.

وتبرز في هذا المقال أيضا مفارقة الاتصال في العصر الرقمي، التي لا تكمن في ضعف الاتصال، بل في فائضه؛ فكلما ازدادت الإمكانيات التقنية للتواصل، تراجعت في المقابل القدرة الإنسانية على بناء علاقات فعلية قائمة على القرب الوجداني والحميمية؛ وهنا تتجلى خطورة هذا التحول في العلاقات الإنسانية، لأنه ليس مجرد تحول تقني أو اقتصادي، بل تحول حضاري يلامس الانسان وحضوره الاجتماعي وحدوده واستقلاليته.

إن هذه الخلاصة التي تبدو متشائمة لا نهدف من خلالها للوصول لموقف عدمي رافض للاندماج في التطورات التقنية الراهنة، بل نسعى لمسائلة شروط استخدام التكنولوجيا الراهنة واثارها البنيوية على الانسان والمجتمع، كما نهدف لمرادة آفاق التفكير في بناء فضاءات رقمية أكثر إنسانية تستعيد جوهر الذات والعلاقات الإنسانية الفعلية، فالتحدي الذي نواجهه لا يكمن في الانفصال عن

التكنولوجيا، بل يتمثل في منع تحول الإنسان في حذ ذاته إلى مجرد امتداد للقوالب والبروفيلات التي تصنعها الخوارزميات.

المراجع

- boyd, y. (2014). *It's Complicated: The Social Lives of Networked Teens*. Yale University Press.
- Brevini, B., & others. (2024, 09 03). Critiques of Data Colonialism. (J. J. Bates, Éd.) *Dialogues in Data Power*. doi:<https://doi.org/10.51952/9781529238327.ch006>
- CHERRY, T. (2015). *Reclaiming conversation : the power of talk in a digital age*. New York: Penguin Press.
- De, D., Jamal, M. E., Aydemir, E., & Khera, A. (2025, 01 08). Social Media Algorithms and Teen Addiction: Neurophysiological Impact and Ethical Considerations. *17*(1). doi:10.7759/cureus.77145
- HAN, B. (2017). *In The Swarm: Digital Prospects*. (E. Butler, Trad.) MIT PRESS.
- Marwick, A. E., & boyd.d. (2014). Networked privacy: How teenagers negotiate context in social media. *New Media & Society*, *16*(7), pp. 1051-1067.
- Mejias, & Couldry. (2019). *The Costs Of Connection: How Data Is Colonizing Human life And Appropriating It For Capitalism*. Stanford University press.
- Mejias, U. (2019, 10 08). [BigDataSur] *Some thoughts on decolonizing data*. Consulté le 04 30, 2026, sur DATACTIVE.: <https://data-activism.net/2019/10/bigdatasur-some-thoughts-on-decolonizing-data/>
- PARISER, E. (2011). *The Filter Bubble: What the Internet Is Hiding from You*. . Penguin Press.
- TOM. (2011, 04 27). *Why Sherry Turkle is so wrong*. Consulté le 04 29, 2026, sur idiolect: <https://idiolect.org.uk/notes/2011/04/27/why-sherry-turkle-is-so-wrong/>
- TURKLE, C. (1995). *LIFE ON THE SCREEN: IDENTITY IN THE AGE OF THE INTERNET*. SIMON & SCHUSTER.
- TURKLE, C. (2011). *ALONE TOGETHER: WHY WE EXPECT MORE FROM TECHNOLOGY AND LESS FROM EACH OTHER*. BASIC BOOKS.
- Zuboff, S. (2019). *THE AGE OF SURVEILLANCE CAPITALISM: THE FIGHT FOR A HUMAN FUTURE AT THE NEW FRONTIER OF POWER*. NEW YORK: PUPPIC AFFAIRS.
- إرفنغ غوفمان. (2021). *تقديم الذات في الحياة اليومية*. نائر ديب، المترجمون (دار معنى للنشر والتوزيع).
- بوشلاغم، ز. (2017). *جويلية، ديسمبر*. (تناول مفهوم الحضور الاجتماعي في دراسة الميديا الجديدة. مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والاتصالية. 11 ,
- بيطار، ش. (2022, 1-7). *الأدب الرقمي: تحولات الابداع والتلقي في العصر الرقمي*. مجلة الاتحاد العربي للنشر العلمي , 3(1).

عبادة, هشام. (2025). فهم ماكلوهان المباحث المغيبة في مناخ الوسائط- وامتداد الحواس. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية 10(03), 518. Récupéré sur <https://asjp.cerist.dz/en/article/275921>

¹¹ يناقش الكتاب مسألة الاستعمار البياني كاستمرار لمنطق الاستعمار التقليدي، مع فارق أن الأخير كان يستولي على الأراضي والموارد الطبيعية فقط، في حين يستولي استعمار البيانات على الحياة البشرية نفسها ويحولها إلى بيانات تستخرج كسلعة.